مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد السابع
مارس 2023 March

التنغيم ودوره في الأصوات (كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر أنموذجاً)

نجوى سعد سالم سعد
كليـة التـربية بالعجيـلات/ جامعة الزاوية

مقـدمـة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، ورضي الله عن أصحابه أجمعين .

يعتبر التنغيم هو أحد سمات الأداء الذي لابد من وجوده في أية لغة، فاختلاف لغات الكلام شيء طبيعي في اللغة، التي لابد أن تحتوي على موسيقى ونغمات تتألف منها الألفاظ، ويعتبر التنغيم من الظواهر الصوتية المهمة فهو يساعد على تحديد المعنى وتوزيع الجمل إلى أنماطها النحوية.

والتنغيم من الفونيمات فوق التركيبية أو الإضافية التي تصاحب نطق الكلمات ؛ بمعنى ارتفاع وانخفاض الصوت وهو يرتبط بالوترين الصوتيين ، فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي للغة كما يرتبط بالنظام الصوتي للغة .

ودراسة موضوع التنغيم ودوره في الأصوات(كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر أنموذجاً) من الموضوعات المهمة في اللغة العربية ، وفيه أعطيت نبذة مختصرة عن كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لأنّ (كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر) يحتل مكانة عالية بين كتب الحديث ونبذة عن التنغيم ، كما تناولت الوظيفة النحوية والدلالية للتنغيم والبعض من أنماط التنغيم منها: الاستفهام والنداء والأمر والاختصاص ، كما اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، ثم ختمت البحث بمجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث.

- **نبذة مختصرة عن كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر:**

كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ألّفه مجد الدين المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير لشرح الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث ويعتبر أجمع كتاب ألف في غريب الحديث ، وقام بترتيب الكلمات على الحروف الهجائية مما يسهل الرجوع لغريب المعاني والألفاظ .

Copyright for the journal © 1 حقوق الطبع محفوظة للمجلة

- **التنغيم:**

يُعد التنغيم واحدًا من أهم الأداءات الخارجية المصـــاحبة للكلام وهذه الأداءات هي "مصـطلح يطلقه اللغويون على الجوانب الصـوتية التي تصـاحب الكلام؛ أي :أنها ليسـت تلك الألفاظ التي ينطقها المتكلم، ولكنها حالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعاً أو انخفاضـاً أو تنغماً أو غير ذلك [1].

والتنغيم يقتصـــر على التراكيب المســـموعة دون المقروءة؛ وبذلك يكون له أثرٌ كبيرٌ في نفوس السامعين، ومتابعيهم، وحسن إصـغائهم ويزيل كثيرًا من اللبس عن معنى الجملة، ويوضـح الفرق بين المعاني المتعددة، وهو ســـمة من ســـمات اللغة العربية حيث تتعدد دلالات الجملة فيها باختلاف التنغيمات التي تنطق بها.

ذلك أنه من الناحية الصوتية يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة بل هو أوضح من الترقيم في توضيح المعنى الوظيفي للجملة؛ لأن ما يســـتعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يســـتعمله الترقيم من علامات، كالنقطة ، والفاصلة ، والشرطة، وعلامة الاستفهام[2].

والعربية كغيرها من اللغات لم يكن فيها نظام للترقيم، ولكنها اتَّكلت على التعليق بالنغمة، فقد اهتم بها علماء العرب الأوائل وأدركوا أثرها في توضـيح المعنى، والمقصـود من الكلام، وقد يكون من أوضـــح الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن جني(ت392هـ) في كتابه [الخصـــائص]عندما تعرَّض لقضـية حذف الصـفة في قولهم: (سِـيْرَ علَيه لَيْل) يقول :"وقد حُذفت الصـفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون ليلٌ طويلٌ" [3]. وقد أشار سـيبويه (ت180هـ) قبل ذلك إلى ما يُسـمي بالترنم قائلًا: "اعلم أن المندوب مدعو، ولكنه متفجع عليه، فإن شـئت ألحقت في آخر الاسـم الألف؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"[4] أما عن ظهور التنغيم بهذا المصطلح فهو من مفاهيم الدرس اللساني الحديث ويقابله مصطلح (Intonation) قد عُرف أولًا عند علماء الغرب، حيث يرى (ماريو باي) أن هناك ثلاثة ملامح تدخل تحت دراسة الجانب (الأكوسـتيكى) وهو دراسـة الجانب الصـوتي للكلام كما تسـتقبله أذن السـامع، والموجات الصوتية التي تصحبه، وهذه الملامح هي درجة الصوت وعلوه وكيفية تنغيمه[5].

ويذهب في تعريف الملمح الثالث وهو التنغيم إلى أنه "عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"[6] أما (روبنز) فيعرفه بأنه : عبارة عن" تتابعات مُطَّرِدة من الدرجات الصوتية المختلفة "[7].

فيما يسير الباحثون العرب المحدثون على نهج علماء الغرب، فيصف الدكتور (كمال بشر) التنغيم بأنه اختلاف في درجات الصوت بين الارتفاع والانخفاض أثناء الكلام[8].

ويذهب (أحمد مختار) إلى أنه "تتابعات مطرِّدة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجملة وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة "[9].

ويتضح جليًا من التعريفات المتقدمة أن التنغيم هو تشكيل صوتي للجملة أو العبارة، يدل على درجة الجهر في الكلام ؛لأنه يقوم على ارتفاع الصوت وانخفاضه، وهذه التغير في الدرجة لا يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، ويعتمد بشكل واضح على ما يحدث في جمله المنطوقة من تبدل أو تغير في نغماتها صعوداً وهبوطاً بحسب نوع التأثير أو الانفعال المعبر عنه[10].

وقد حدَّد اللغويون أربعة أنواع للنغمات التي تصاحب النطق سواءً أكانت على مستوى الكلمة المفردة أم على مستوى الجملة وهذه النغمات هي[11]:

1 - النغمة العادية: وهي نغمة تكون موجودة في معظم الكلام.

2 - النغمة العالية: وهي نغمة تستعمل في عملية التدريس والتلقين.

3 - النغمة العالية جدًا: وتدل عادةً على أمر أو تعجب أو انفعال.

4 - النغمة الواطئة: وهي نغمة تُستعمل في الحديث السري الخفي والملاحظ من خلال هذه التدرجات وجود وظائف متعددة في عملية الاتصال للتنغيم، يأتي في مقدمتها وظيفتان:

- **الأولى:** وظيفة نحوية، إذ يقوم التنغيم بتوضيح تمام الجمل من عدمه، كما يقوم بوظيفة أخرى هي تصنيف الجمل إلى أنواعها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية؛ لأن التنغيم يجعل لكل جملة نوع خاص من الموسيقى في آخرها.
- **الثانية:** وظيفة دلالية سياقية، تقوم على التفريق بين المعاني بما يمليه السياق، فالكلمة مثلًا تنطق بقالب نغمي معين فيكون لها معنى، وقد تنطق بقالب آخر فيتغير معناها بحسب

الأداء المرتبط في أساسه بالمواقف الاجتماعية التي تُعبر عن وجهات النظر الشخصية، من رضا وقبول وزجر وغضب وتعجب ودهشة ودعاء وحزن، واستفهام[12] ، وحيث أن هذه المعاني لا تظهر في التراكيب والجمل المكتوبة، وإنما تفهم من خلال السياق الذي يحُيط بالتركيب، فإننا سنقوم بتقصي بعض وظائف التنغيم التي تظهر من خلال السياق؛ لأنه يكون ركنًا من أركان الجملة العربية التي تقع في صيغ وموازين تنغمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات منحى نغمي خاص بالجملة، يُعين على الكشف عن معناها النحوي، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به جملة الأمر غير الهيكل التنغيمي لجملة النهي، غير الهيكل التنغيمى لجملة العرض، فلكل جملة من هذه الجمل صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينها ولامها وزوائدها، وملحقاتها نغمات معينة يرتفع بعضها وينخفض بعضها الآخر، يصعد بعضها من مستوى أسفل، ويهبط بعضها من مستوى أعلى[13].

- **من أنماط التنغيم ..**

أولًا: الاستفهام:

قد ترد بعض الأحاديث التي تخلو من أدوات الاستفهام وهي حقيقةً تدل على الاستفهام وتُفهم هذه الدلالة من الإيقاع التنغيمي المُصاحب لها، ومنها ما جاء في حديث أنس وابن سيرين: "قَالَ تَسْتَعْمِلُنِي عَلَى المَكْسِ، أَيْ: عَلَى عُشُورِ النَّاسِ فَأُمَاكِسَهُم وَيُمَاكِسُونِي؟"[14].

والذي يبدو من النظرة الأولى لهذا الحديث أنه خبري تقريري ولكن التنغيم الموسيقي الذي يصاحبه ،يبين المعنى المقصود ،وهو أنه (إنشائي استفهامي) ويوضح السياق فيه استنكار أنس أن يعمل عشارا ـقابضا للعشر ـبأن يأخذ من الناس عشر أموالهم ،وما يؤكد هذا المعنى ما جاء في [مجمع الأنوار] "وقيل معناه تستعملني على ما ينقص ديني لما يخاف من الزيادة والنقصان في الأخذ والترك"[15].

ونقف على أهمية الاستفهام من خلال الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر، وبما أن التواصل لا يتم إلا بالتخاطب فإن الاستفهام أحد أدوات هذا التخاطب فهو يعتمد إلى حد كبير على التباين النغمي الذي يؤثر في تحديد طبيعة المعاني في الجمل حيث تُعد النغمة فيها قرينة لفظية يتوقف عليها مدلول الكلام إلى درجة قد تُغني عن بعض الأدوات كأدوات الاستفهام

وغيرها[16] ، ومما لا شـــك فيه أن اللغة العربية ليســـت لغة نغمية يُؤدي التنغيم فيها دورًا على المســـتوى الصـــرفي فيُفرق بين معاني الكلمات، كما هو الحال في بعض اللغات الأخرى التي تنطق فيها الكلمة بأكثر من نغمة فيتغير معناها، بل هي لغة تنغيمية يعمل التنغيم فيها على مستوى الجملة[17] بتصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية، وفي أسلوب الاستفهام يكتسب التنغيم أهمية خاصة؛ لأنه يُعد الدليل الوحيد القادر على تمييز الجمل الإنشائية عن الاستفهامية في الجمل التي لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، فأنت عندما تقول بدأت المحاضـرة، بنغمة صـوتية معينة فإنك تُخبر عن وقت بداية المحاضـرة ، وعندما تنطق الجملة بنغمة مختلفة تتحول من الإخبار إلى الاستفهام وكأنك تسأل ،ولا يفصل بين المعنيين سوى وجود التنغيم الذي قد يكون في بعض الأحيان أهم من وجود الأداة.

وفي حديث عبد الله بن حذافة: "قَالَتْ لَهُ أُمُّه: اَمِنْتَ أنْ تَكُونَ أُمَّكَ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا يُقارِفُ أَهْلَ الجَاهِلِيَّة"[18] فأم عبد الله بن حذافة تُوَّجه استفهامها الاستنكاري إلى ابنها، وفُهِم الاستفهام من الموسيقى المصاحبة للجملة على الرغم من حذف همزة الاستفهام فيه وهو ما يمكن أن نطلق عليه التنغيم وثمة قرينة أخرى وهي أن الحديث حوار بين السائل والمجيب فهو يسأل وينتظر الإجابة، أو هو يســـتفهم عن شـــيء يُريد معرفة جوابه وحقيقة أمره، وهذه كلها غنية عن أداة الاستفهام وتقديرها.

وأميل إلى القول بجواز إثبات همزة الاستفهام في رواية هذا الحديث أو حذفها كما جاء في تفسير البغوي "قالَ يُونِس عن ابْنِ شِهَاب: أَخْبَرَنِي عُبَيْدَ اللهِ بن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَتْ أُمُ عَبْدِ اللهِ بنْ حُذَافَة لِعَبْدِ اللهِ بنْ حُذافَة مَا سَمِعْتُ بِابْنٍ قَطْ أَعَقُ مِنْكَ، أَأَمِنْتَ أَنْ تَكُوْنَ أُمَّكَ قَدْ قَارَفَتْ بَعْضَ مَا تُقَارِفُ نِسَاء أَهْلَ الجَاهِلِيَّة فَتَفْضَـــحُهَا عَلَى أعْيُنِ النَّاس، قَالَ عَبْدُ الله بنْ حُذَافَة وَاللهِ لَو أَلْحَقْتِنِي بِعَبْدٍ أَسْـــوَدَ لَلَحَقْتُه"[19].

وقد تحتوي بعض الجمل على أداة اســـتفهام في لفظها وهي خبرية في معناها، ومنه ما جاء في حديث ابن مسعود "رَأَى رَجُلًا شَاخِصَاً بَصَرُه إِلَى السَّماء فَقَالَ مَا يَدْرِي هَذَا لَعَلَّ بَصَره سَيُلْتَمَع قَبَل أَنْ يَرْجَعَ إِلَيْه"[20].

ففي قول ابن مسعود: "ما يدري هذا لعل بصره سيلُتمع" نجد أن هذه الجملة ليست استفهامية على الرغم من استخدامه لأداة الاستفهام؛ لأنه لم يُرِدْ بها جواباً، بل هي إخبار عن عدم الدراية.

وفي إشارة من سيبويه (ت: 180هـ) لهذا النوع من الاستفهام الخبري قال: علمتُ أزيدٌ عندك أم عمرو؟؛ إن معناه: علمت الذي هو عندك من هذين الرجلين[21].

وزاد المُرادي (ت: 749هـ) على ذلك قائلًا: "فإن قلت ما معنى تعلق العلم بالاستفهام في نحو علمت أزيدٌ عندك أم عمرو؟ قلت هذا كلام صورته الاستفهام، وليس المراد به الاستفهام؛ لأنه مستحيل الاستفهام عما أخبر أنه يعلمه"[22].

ولمَّا كان الاستفهام وظيفية تنغيمية يُوَّجهها السياق تنوعت أغراضه بين الحقيقة والمجاز بالإضافة إلى تغير أشكاله وأغراضه فكان أول من أثار مسألة خروج الأسلوب الاستفهام عن معانيه الأصلية وعلاقة هذا الخروج بالسياق (سعد الدين التفتازاني) (ت: 792هـ) الذي قال: "ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرًا ما تُستعمل في غير الاستفهام مما يُناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان أنَّه من أيِّ نوعٍ من أنواعه مما لم يَحُم أحدٌ حوله"[23].

ومن المتأخرين ممن قال بالرأي نفسه كان (بسيوني عبد الفتاح) حين ذهب إلى أن المعاني التي يفيدها الاستفهام معاني بلاغية يفيدها بمعونة السياق وقرائن الأحوال ومما يدل على أنها معاني مجازية تنتج علاقات واهية بين طالب الفهم وبين تلك المعاني[24].

الاستفهام بمعنى الأمر:

جاء في حديث عمر: "أَنَّهُ طَافَ بِالبَيْتِ مَعَ فُلَانٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الرُّكْنِ الغَرْبِي الذَّي يَلِي الأَسْوَدِ قَالَ لَهُ أَلَا تَسْتَسْلِمُ؟ فَقَالَ لَهُ: اِنْفذْ عَنْكَ فَإِنَّ النَّبِي (صلّى الله عليه وسلّم) لَمْ يَسْتَلِمْهُ"[25] يظهر من خلال السياق تلطف عمر بمن يخاطبه؛ ولذلك وجه له الحديث على صورة استفهام.

ويدل المعنى في قوله: (ألا تستسلم) على الاستفهام المقترن بالحث على الاستسلام، ومعناه استسلم، ثم اتبعه بالأمر المباشر في قوله: (انفذ عنك فإن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) لم يستلمه) أي: أمضِ عن ذلك المكان وتجاوزه كما فعل النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ونجد حضورًا مميزًا للنغمة الصاعدة في نهاية جملة الاستفهام وربما تغير الأسلوب من الحث والحض وهو الطلب برفق للوقوف والاستسلام إلى صيغة الأمر إذ أن دلالة الأمر واضحة في الحديث ونغمة السؤال صاعدة تدعو السامع بصوت ممدود إلى الإذعان والتسليم والانتهاء امتثالًا لأمر عمر.

الاستفهام التعجبي:

جاء في هذا حديث علي: "قَالَ لِطَلْحَة يَومَ الجَمَلِ عَرَفَتِنِي بَالحِجَازِ وأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟"[26] حيث يبدو من نغمة الحديث أنه استفهامٌ مقرونٌ بالتعجب.

والتعجب كما حدَّه الجُرجاني (ت: 471هـ): هو انفعال النفس عما خفي سببه[27] وأصله أن الإنسان إذا رأى ما يُنكره قال: قد عجبت من كذا فهو يتعجب من الشيء إذا عظُم موقعه عنده، وخفي عليه سببه[28] ، ويأتي التعجب إما لإظهار العجب استغراباً ودهشة وعدم الإلف والاعتياد على الأمر المتعجب منه، أو لأن ما يُتعجب منه ليس له سبب معلوم لوروده على السائل، وقد تشتد حدَّته فيقترن به الاستنكار[29] وتوضيح الحديث: أنه استغراب مما صنعهُ طلحة يوم الجمل حيث حُذِف حرف الاستفهام، وأُستعيض عنه بالتنغيم والأصل: (أعرفتني بالحجاز) وما يناسب هذا المعنى هنا أن تكون نغمة الآداء مُرتفعة صاعدة يرتقي فيها الصوت ليعبر عن امتلاء النفس عجبًا من صنيع طلحة يوم الجمل الذي بايع (علي) بالمدينة وجاء يُقاتله بالبصرة أي: ما الذي صرفك ومنعك وحملك على التخلُّف بعدما ظهر منك من الطاعة والمبُايعة؟.

الاستفهام الإنكاري:

يغلب على هذا النوع من الاستفهام أن تستعمل فيه الهمزة ويليها المنكر دائمًا كما جاء في الحديث "لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ وَرَأَى الأَخْبِيَة فِي المَسْجِد فَقَالَ آلبِرَ تَقُولُونَ بِهَذا؟[30].

فإذا تمعنا في سياق الحديث نُلاحظ مصاحبة التنغيم الهابط لهذا الأسلوب في الاستفهام ليبين مدى تألم النبي(صلّى الله عليه وسلّم) ويستبطن نوعًا من العتاب في طيَّاته، وذلك ما يظهر جليًا في طريقة استفهامه عما قمن به ،ومخاطبته لهن لتنبيههن للرجوع عما قمن به، فقد خشي أن يكن غير مخلصات في هذا العمل، وأن يكون الباعث لهن على ذلك التنافس بينهن ناتجًا عن غيرة بعضهن على بعض وحرصًا منهن على القرب منه والمباهاة به، ومن ثم يخرج الاعتكاف عن موضوعه، ولتبيين المعنى تكاثف السياق اللغوي مع التنغيم ففي قوله: "أألبر تقولون بهذا" ما ينبيء عن بغضه وعدم رضاه بفعلهن الذي قمن به، ويزيد الأمر في تأكيده للإنكار تقديمه للمفعول به (البر) على الفعل.

استفهام التشويق والإثارة:

ومما جاء من هذا النوع حديثه: "أَنَّهُ قَالَ لسُراقَة بِن جُعْثَم: أَلَا أَدُلُّكَ عَلى أَفْضَلِ الصَّدَقَة؟ ابْنَتَكَ مَرْدُودَة عَلَيْكَ لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيرُك"[31] حيث عمل الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) على تهييج مشاعر أبي سراقة وتحريكها في محاولة لتشويقه ونزاع نفسه وتهيئتها لما سيقوله باتباعه لهذا الأسلوب، وقد جاء التشويق في حديثه مقرونًا بالاستفهام لما فيه من التنبيه، ومحاولة إثارة مخاطبه –سراقة بن جُعثم– متضمنًا ما يُريد الرسول أن يخبره به متلهفًا مصورًا للموسيقى التنغيمية في صوته في أسلوب يفيد تحريك المشاعر وتهييجها لتعريف الصحابي بأفضل وأيسر طرق الصدقة التي يتمناها المسلم، ولا يلزم في مثل هذا الحال أن يُجيب المتلقي بما يريد المتكلم –بما يوافق أغراض المتكلم– فالقصد من هذا الأسلوب استدراج المتلقي للانتباه إلى ما يلحق الاستفهام من كلام وكثيرًا ما يُواصل المتكلم كلامه دونما انتظار الرد.

ويظهر التنغيم في هذا الحديث في صورة مقطعين صوتيين يبرزان من خلال الأداء الصوتي، فالأول: يتجلى في قوله: ألا أدلك على أفضل الصدقة وهو يحوي نغمة مرتفعة أفادت الاستفهام المصحوب بالإثارة والتشويق، أما المقطع الثاني فهو في قوله ابنتك مردودة فقد امتاز بنغمة صوتية مستوية أفادت التقرير بالإجابة ثم عاد في الأخير للصعود في قوله: "ليس لها كاسبٌ غيرُك".

الاستفهام التقريري:

وجاء في هذا المعنى حديث عثمان: "رَأَى عُثْمَان رَجُلًا يَقْطَعُ سُمَرة فَقَالَ: ألسْتَ تَرْعَى مَعْوَتَها"[32]. وتقرير الإنسان بالشيء: جعله في قراره والقرارة والقرار ما قرَّ فيه الماء والقرارة من الأرض: المطمئن المستقر[33] ومنه صار معنى التقرير طلب المتكلم من مخاطبه أن يقرّر ثبوت أو نفي مضمون الأمر المستفهم عنه، ويعترف بذلك المضمون اعترافًا شبيه باستقرار الماء في الأرض، بما لا يمكن للسامع أن يُنكر ما أقرَّ بِهِ[34] فعثمان ﷺ يُريد باستعماله لهذا الأسلوب حمل الرجل على الإقرار والاعتراف له، وكأنه يقول له: أنت ترعى معوتها أم غيُرك، فهو يُريد أن يُقرّره مع علمه بأنه هو من يستفيد منها، ويعمل التنغيم بالاستفهام هنا على تذكير الرجل بفائدة الشجرة، وفضلها عليه، وحمله على الإقرار بتلك الفائدة، وذلك من أجل إقامة الحجة على الرجل وإفحامه.

- **ثانيًا: النداء:**

جاء في حديث أبي ذر :"عَلَيْكُم مَعْشَـــرَ قُرَيْشٍ بِدُنْيَاكُمْ فَاغْذِمُوهَا"[35] يُفهم من الســـياق اللغوي وجود نداء في الحديث وإن لم يحتوي على أداة، حيث يقوم أســـلوب النداء مقترنًا بنغمات معينة على "تنبيه المخاطب وحمله على الالتفات والاســـتجابة ليُقبَل عليك"[36] ، وعليه فإن النداء يكون لتحريك النفس في طلب المخاطب، وهذا الأمر لا يكون إلا عن طريق صوت يصدِره المتكلم لذاك المخاطب؛ ليستجيب له وينتبه لمناداته، وهذا الصوت يُسمى التنغيم.

إذًا التنغيم يؤدي دورًا فاعلًا في هذا الأســـلوب الذي يعتمد بشـــكل أســـاســـي على طلب الإقبال والدعوة بحيث يخرج النداء عن معناه الأصـــيل، ويُفيد معاني بلاغية أخرى لما تحتويه هذه الأغراض التعبيرية من ســـمات دلالية تُوحي بالمعنى المقصـــود إيراده، فيســـتجيب المخاطب بما تمليه عليه ضـــرورة الأخذ من مقصـــد مخاطبه ثم يكون للسـياق أثره الواضـــح في تبيين الكثير من نغمات النداء؛ لأنها تتوقف على مُراعاة القرب والبُعد ومُراعاة الصـــوت وإطالته أو تقصـــيره ويبرز عند ذلك حذف الأداة وفهمها من ســـياق الجملة كما جاء في حديث أبي ذر، والتقدير يا معشـــر قريش، ومُبَرِّر الحذف في مثل هذه الحالات ميل العرب إلى حذف عناصـــــر التركيب المُكرَّرة والتي يمكن فهمها من خلال الســـياق، وفي ذلك يقول الزَّجاج (ت: 311هـ) النداء موضـــع حذف وذلك حســـن جائز فصـــيح ورد به الكلام[37] ، ويذهب الدكتور (فاضـــل الســـامرائي) إلى توضـــيح أغراض الحذف ومُبَرِّراته وخصـــوصًـــا في الكلام الفني فقد يكون الحذف للعجلة والإســـراع بقصـــد الفراغ من الكلام بِسُـــرعة، نحو قولك: (خالد إحذر)، وقد يكون للإيجاز؛ وذلك إن كان المقام مقام إيجاز واختصـــار المقام تبســـيط وإطالة، نحو قوله تعالى: ﴿ يُوسُـــفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْـــتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾[38] ، وقد يكون الحذف لقرب المنادى من المنادي ســـــواءً كان القرب حقيقاً مادياً أم معنوياً، فكأن المنادى لقربه لا يحتاج إلى واســـــطة لندائه، ولو كان حرف نداء، كأن تقول لمن تُناديه وهو قريب "خالدٌ أتدرى ما حلَّ بفلان؟"[39].

ومن أمثلة الحذف هذه الصـــــورة ما جاء في حديث علي: "حِينَ وَقَفَ عَلى طَلْحَة رَضِـــــي اللهُ عَنْهُما –وهو قتيل– إعِزِز عَلَيَّ أبَا مُحْمدٍ أنْ أرَاك مُجَدَّلًا تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ"[40].

وجاء في الحديث الآخر: "قَالَ لَمَّا مَاتَ اِبْنَه إِبْرَاهِيْم لَوْلَا أنَّه طَرِيْق مَيْتَاء لَحَزِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيْم"[41].

وقد ظهر في الحديث استعماله لأسلوب مختلف في الندب، وذلك بذكر اسم المندوب وكأنه مُنادى عادي مع إظهاره شدة حرنه وألمه على موت ولده مُعَزِّيًا نفسه بأن هذا حال كل البشر، وأنها طريق يسلكها كل الخلائق، وقد تحدث ابن يعيش (ت: 643هـ) عن تجويز هذا النوع من الندب قائلًا: "أن لا تأتي بألف الندبة وتجري لفظه مجرى لفظ المنادى نحو: وازيد ويا عمرو ولا يلبس بالمنادى إذ قرينة الحال تدل عليه"[42].

ومن الندب أيضًا ما جاء في حديث عمر: "بِأَنَّ نَادِبَتَهُ قَالتْ وَاعُمْرَاه أَقَامَ الأَوَدَ وَشَفَى العَمَدَ"[43] ، حيث ظهر من سياق المقال المتقدم الغرض من النداء بقوله: "إنَّ نادبته" ويؤكد ذلك ما جاء من النداء بمدِ الصوت لإظهار التفجع والتوجع لموت عمر.

وعن وجود علاقة مباشرة بين الندب والتنغيم ألمح سيبويه (ت: 180هـ) قائلًا: "اعلم أن المندوب مدعو، ولكن متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"[44].

ومن صور الترخيم التي جاءت في كتاب النهاية: "أَنَّهُ مَرَّ بِجَارِيَة سَوْدَاءُ وَهِيَ تُرَقِّصُ صَبِيًا لَهَا وَتَقُولُ: ذُؤَالَ يَابْنَ القِرَمُ يَاذُ وَالَه

فَقَالَ: "لَا تَقُولِي ذُؤَالُ فَإِنَّ ذُؤَالَ شَرُّ السِّبَاعِ"[45] فذُؤال كما ذكر ابن الأثير: "هو ترخيم ذُؤَال وهو اسم علم للذئب كأسامة للأسد"[46] ، فالجارية وهي تُرَقِّص صبيها وتُلاعبه تُظهر انفعالاً نفسياً يُوَّضح كم المحبة والطيب والفرح والابتهال تجاه صغيرها، وذلك بأن ترقق صوتها وتُخففه عند النداء باستعمالها لهذا الأسلوب.

والنداء في كثيره يكون حقيقياً وهو أيضًا كما أشرنا قد يخرج إلى صورٍ أخرى مجازية يوجهه إليها السياق ويعينه التنغيم فيها.

وقد تكررت الصور الحقيقية منه في كتاب (النهاية) نذكر منها ما جاء في حديث سلمة: "قَالَ مرَّ بِي عُمَرَ وَأَنَا قَاعِدٌ فِي السُّوق فَقَال هَكَذا يَا سَلمَة عَنْ الطَّرِيقِ، وغَفَقَنِّي بالدُّرَة، فَلَمَّا كَانَ فِي العَامِ المُقْبِل لَقِيَنِّي فَأَدْخَلَنِّي بَيْتَه فَأَخْرَجَ كِيْسَاً فِيْه سُتُمِائة دِرْهَم فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَّها مِنْ الغَفَقة التِّي غَفَقْتُكَ عَاماً أَوَّلُ"[47].

فقول عمر: (يا سلمة) نداء حقيقي ونتبين حقيقته من طريقة النداء حيث إن نغمة المنادى العادي تختلف عن نغمة المنادى المندوب، وهذه الأخيرة لا بد أن يكون فيها نبرة من الألم والحزن تغيب في أسلوب النداء العادي، وهو ما دفع أحد الباحثين إلى القول بأن: "أساليب النداء تخضع لعنصر التنغيم، إذ هو ضابط مميز لها، فكلمة محمد، لها صفات صوتية في قولنا مخبرين: (محمد مجتهد) تختلف عن صفاتها في قولنا: محمد فحسب أو: يا محمد على سبيل النداء والذي يثبت ذلك مجال النداء الاستعمالي وهو مجالٌ حيٌ؛ فحين نتجه بالنداء على إنسان اسمه محمد، وهو بعيد فإننا نصدر صوتاً على هذا الأساس، فأما أن نخلع على الآداة صفة الطول حتى يستجيب المدعو وإلاَّ فإن الكلمة التي تنادى نفسها تأخذ من التطويل والمط ما يقوم مقام الآداة، فأقول في محمد مثلًا: (محماد) وتكون النغمة وحدها قرينة علامة على النداء، وهنا فإن المنادى يأخذ لوناً نغمياً معينًا حين يكون وحده، تختلف عن لونه حين يكون مصاحباً لآداة"[48].

فنجد أن المقطع الصوتي في بداية جملة النداء يبدأ بنغمة متوسطة ثم يُواصل الارتفاع تدريجياً في المقطع الصوتي الثاني من الجملة ثم ينخفض بسرعة في المقطع الصوتي الآخير إلى أدنى حدوده[49].

وإذا عدنا إلى الحديث السابق نجد أن قوله:" هكذا ياسلمة –وغفقني بالدَّرة –لقيني فأدخلني بيته– فأخرج كيساً، يشير إلى ما يسمى بسياق الحال ويظهر ذلك من خلال تعبيرات الوجه، وحركات اليدين والتنغيم الذي يُرافق قول (عمر)؛ لأن كل ذلك يساعد على فهم الكلام والموقف المصاحب له.

ومن خروج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أُخر منها ما يكون على مستوى الأساليب النحوية؛ وذلك بأن تكون هذه الأغراض مذكورة في تركيب لغوي نحوي يستقل به ويُعرف عند علماء النحو، ومن هذه التراكيب ما يكون في الاستغاثة أو النُدبة أو الترخيم ومن المعنى الأول ما جاء في الحديث "يَا ثَارَات عُثْمَان"[50] ، فالمنادي هنا يُنادي أهل عثمان أو المطالبون بدمه على سبيل الاستغاثة، وفي ذلك قال الجوهري (ت: 393هـ): "يُقال يا ثارات فلان: أي: يا قتلة فلان، فعلى الأول يكون قد نادى طالبي الثأر ليعينوه على استيفائه وأخذه، وعلى الثاني يكون قد نادى القتلة تعريفًا لهم وتقريعاً وتفضيعاً للأمر عليهم"[51].

فقد أراد المنادي أن يصل صوته إلى القتلة فمكَّن الصوت وقوَّاه، ليمتد في النداء ويقف على الأسماع، فكانت النغمة مرتفعة في معظم العبارة، ولو وقف عند الراء في (ثار) لما أدى النداء معناه؛ لذلك ساعد مد الصوت بالألف وجمعه بالتاء على إيصال المعنى، وبلوغ الهدف، وهو الاستغاثة.

أما ما جاء في حديث الزبير: "سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ يَالخَنْدِف، فَخَرَجَ وَبِيَدِهِ السَّيفُ، وَهُوَ يَقُوْلُ: أُخَنْدِفُ إلَيْك أَيُّهَا المُخَنَّدِف"[52].

فالخندفة هي الهرولة ثم صارت لقب ليلى بنت عمران بن الحافر بن قضاعة كان لها ثلاثة أبناء ذهبوا في طلب إبل ندَّت لهم، ثم خرجت ليلى في إثرهم فلُقبتْ خِندف وصارت الخندفة لقب لكل من يهرول[53] ، وفي الحديث سمع الزبير استغاثة أحدهم طالبًا من يهرول إليه مسرعاً لينقذه فخرج إليه بسيفه ليُغيثهُ، قال الزمخشري (ت: 538هـ): "أراد بالمخنّدِف المنادي بيا لخندف ولم يُرِد المهرول، ونظيره المُهلِّل والمُلبِّي، اللام في يالخندف لام استغاثة"[54]، ومن الاستغاثة أيضًا ما ورد في حديث سلمة بن الأكوع: "لمَّا أُخِذَتْ لَقَاحُ نَاقَة رَسُوْلِ الله نَادَى: يَا صَبَاحَاه"[55].

وقال القرطبي (ت: 671هـ) في "يا صباحاه". "هاؤه ساكنة وهو يشبه المنادى المندوب وليس به ومعناه هنا الإعلام بهذا الأمر المبهم الذي قد دهمهم في هذا الصباح"[56] ، ونزيد في توضيح معنى هذه الكلمة في السياق فيا صباحاه كلمة يرددها المستغيث والألف عِوض عن لام المستغاث، وتُقال أيضًا لاستنفار من كان غافلًا عن عدُّوه ليتأهب له، وهذا ما أكد عليه ابن الأثير قائلًا: "هذه الكلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا قاموا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يُغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكأن القائل: (يا صباحاه) يقول: قد غشينا العدو، وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه فكأنه يريد أن يقول: يا صباحاه قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال"[57].

وهنا يلعب سياق الحال دوره في توجيه معنى (يا) وإظهار أنها جاءت للإستغاثة ذلك أن سلمة بن الأكوع لما رأى ما فُعِلَ بناقة الرسول طلب الاستغاثة والاستناف؛ لأن الموقف يستدعي ذلك ولا يستدعي النداء أو الندب.

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أُخر تفهم بمساعدة المقام والقرائن، وهذه المعاني المنقول إليها النداء ليست معاني نحوية، أقصد ليس لها تركيب لغوي نحوي خاص تُعرف به في الدرس النحوي كالتركيب المذكورة سابقًا، وإنما هي معاني سياقية مقامية تُفهم بمعونة المقام وقرائن الأحوال.

ومنها ما جاء في الحديث كقوله: "كَانَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانٍ: "اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي مِنْ رَمَضَان وَسَلِّم رَمَضَان لِي وَسَلِّمْهُ مِنِّي"[58].

حيث جاء النداء في الحديث على صورة الدعاء والتضرع إلى الله؛ وذلك يتطلب التلطف والاستكانة وعذوبة النبرة وهدوء النفس وانخفاض النغمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفيًا﴾[59].

وفي توضيح معنى: (اللهم) وقع اختلاف بين المدرستين البصرية والكوفية، فالبصريين يرون أن أصله (ياالله) والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر (يا) فتقول: (يا الله) وعند الكوفيين أن الميم مقتطعة من جملة: (أُمَّنا بخير) وقد دلت الدراسات الحديثة على أن أصلها عبري، وهو (ألو هيم) ومعناها: (الألهة) وهم يُريدون الواحد وإنما جمعوه للتعظيم[60].

ومن الممكن أن يكون الحديث قد جمع كل هذه الدلالات في سياقه فيكون معناه يا الله يا عظيم أُمَّنَا بخيرك وإرزقناعزمًا بأن نصُوم هذا الشهر الكريم دون وهن أو مرض، واعطنا علمًا فلا يغمَّنا الهلال فيلتبس علينا الصوم والفطر وامنحنا قوةً تعصمنا من ارتكاب المعاصي.

وفي قوله : "يَا لَيْتَنِي غُوْدِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نُخْصِ الجَبَلِ"[61] وقع النداء بالتمني في تصوير مشهد يُعبِّر فيه عن حالته النفسية وما يخالجها من خواطر ومشاعر وأُمنيات تظهر برفع نغمة الصوت في أول المقطع في قوله: (يا ليتني) ثم تستوي في بقيته بأن يكون قد استشهد مع من استشهد يوم أُحد، وفي توضيف النداء بـ(يا) مع التمني بـ(ليت) أُلحِق بها ضمير المتكلم ما يُصور لنا عظمة الموقف الذي يقفه الرسول رغبةً في الشهادة وسعيًا إليها؛ بما يَدل على كرامتها ومكانتها الرفيعة عند الله ورسوله.

وفي دلالة النداء على معنى: (التحبب والتودد) ما جاء في حديث سـلمان: "أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاء: يَا أَخِي إِنْ بَعُدتْ الدَّار مِنْ الدَّارَ، فإِنْ الرُّوْحَ مِنْ الرُّوْحِ قَرِيْبٌ، وَطَيْرُ السَّـمَاءِ عَلى أَرْفُهِ

خُمْر الأَرْضِ تَقَعُ"[62] فسلمان في كتابه لأبي الدرداء يرفض ما دعاه إليه من عودة إلى الأراضي المقدسة ولكن رفضه كان على صورة جميلة أظهر فيها حبَّه واشتياقه له وتلطفه معه؛ وذلك باستعماله لهذا الأسلوب الرقيق في ندائه له حين قال: (يا أخي) باستعمال النغمة الهادئة المستوية بعد النداء ما يؤكد هذا المعنى ويُوَطِدُّه بالإضافة إلى ما يحمله سياق الحديث من معاني التألف والتودد بينهما ويظهر ذلك في قول سلمان: (الروح من الروح قريب) وفي قوله: (وطير السماء على أرفه خمر الأرض تقع) فمعناه أن روحينا قد التقيتا كما تلتقي الطيور بألفها أي شبيهها.

- **ثالثاً: الأمر:**

ورد الأمر على حقيقته في حديث الحجاج: " فَقَالَ لِرَجُلٍ: قُمْ فَاضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الأَسِيْرَ، فَقَالَ إِنَّ يَدِي طَبِقَة"[63].

يظهر من السياق مجيء الخطاب مباشرة باستعمال الفعلين: (قم، اضرب)، ليدل على طلب الفعل من الآمر الأعلى منزلة وهو: (الحجاج) إلى المأمور الأقل منزلة وهو: (الرجل) مع وجود نغمة صاعدة تظهر نوع من الغضب في قوله: قم فاضرب، وسكتة متقاربة تفصل بين الفعلين وأسلوب الأمر يتحقق مع "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[64].

كما أن الاستعلاء الذي يقوم عليه هذا الأسلوب، وهو كون الآمر أعلى منزلة من المأمور يستوجب هيئة معينة في النطق، وطبيعة خاصة بالأداء الصوتي للآمر؛ وذلك بأن يكون كلام الآمر قائمًا على نوع من الغلظة والقوة.

حيث يعين الجانب الصوتي على العدول من الدلالة الحقيقية للأمر إلى الدلالة المجازية، بما يعكس من مواقف شعورية للمتكلم كالتعجب والتهكم والتمني والتحقير، فأنت عندما تقول: (اذهب إلى البيت) على وجه الاستعلاء وبلهجة آمرة، يكون حينها أمرًا على وجه الإلزام، ولكن إذا قلت هذه الجملة بنوع من التلطف بين شخصين متساويين: تكون طلبًا، وإن قلتها في مقام الإذن: كانت إباحة، وإن استعملت لهجة الغضب والسخط ورفعتَ الصوت: كان ذلك تهديداً.

وقد يخرج أسلوب الأمر عن معناه الحقيقي ليفيد معاني أخرى تُفهم من السياق بمعونة القرائن ومقتضيات الأحوال، حيث ينتظم الكلام فيه بجرسه وألفاظه وتركيبه ليشارك في تصعيد المعنى وتجليته وبث الحياة فيه.

ومن هذه المعاني الدعاء وورد فيه حديث الحج: "اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِلْمُحَلِقِيْن، قَالَهَا ثَلَاثًا"[65].

فالرسول (صلّى الله عليه وسلّم) يطلب من الله بأن يغفر لهم على سبيل التضرع؛ لأنهم بادروا إلى طاعته وحلقوا رؤوسهم بعد أن أمرهم بذلك، والدعاء توجيه دلالي للأمر يحمل معنىً مخالفًا للمألوف عند السامعين ويسميه ابن فارس (ت: 395هـ) المسألة[66].

ومثلهُ أيضًا ما جاء في حديث: "اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى"[67].

ومن خروج الأمر إلى معنى التمني ما جاء في حديث عمر: "أَنَّهُ دَخَلَ المَسْجِد فَرَأى رَجُلًا بِذَا الهَيَّأة، فَقَالَ: كُنْ أَبَا مُسْلِمٍ"[68] ، فقول عمر: (كن أبا مسلم) يوجهه السياق إلى ما يتمناه عمر ولا قدرة له على تحقيقه، ولكنه يرغب في حصوله، بأن يكون القادم أبا مسلم؛ لذلك فهو يستعمل نغمة هابطة تتسم بنوع من الهدوء والطمأنينة، وكأنه يحدِّث نفسه بما يتمناه.

وفي معنى التهديد والوعيد جاء الحديث: "إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"[69].

فهنا يُوَّجه السياق صيغة الأمر إلى مقام عدم الرضا من المتكلم للمخاطب بفعل ما أمره به تخويفًا وتحذيرًا، ولا يصل هذا المعنى إلى ذهن المتكلم وقلبه ليُحس به إلا عن طريق الأداء التنغيمي المستعمل في الخطاب والذي يفهم من علو نبرة التحذير في الفعل (اصنع) ويكون معنى الحديث إذا لم يكن لك مانعٌ من الحياء يمنعك عن مقارفة المنكر فافعل ما بدا لك، وسوف تُحاسب على سوء فعلك.

وفي حديث الأضاحي: "كُلُوا وَادَّخِروا وَاتَّجِرُوا"[70] يبيح الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) للمسلمين الأكل والادخار والاتجار وهو هنا التصدق من الأضحية، وقد جاءت الإباحة بصيغة الأمر في هذا المقام للحث على هذه الأمور والدعوة للتمسك بها، فكانت النغمة الصوتية، في بداية الجملة متوسطة ثم بدأت في الارتفاع في المقطع الصوتي الثاني في كلمة (ادخروا) ثم وصلت في آخر المقطع الصوتي للجملة في كلمة (ائتجروا) لنغمة هابطة .

أما ما جاء في الحديث على لسان عمار "أَنَّهُ قَالَ لِمَن تَنَاوَلَ مِنْ عَائِشَة: اُسْكُت مَقْبُوحَاً مَشْقُوحَاً مَنْبُوحَاً"[71].

فقد جاء أمر عمار بالسكوت على سبيل الزجر لمن تكلم عن عائشة فالسكوت هو الصمت عن الكلام وأن تسكته فأنت تجعله يصمت أو تدحض حجته برفض ما يقوله[72] وفي قوله: "مقبوحًا مشقوحًا منبوحًا".

جاء في لسان العرب: "المشقوح المكسور أو المبعد"[73] وابن سيده: "المقبوح الذي يرد ويخُسأ والمنبوح: الذي يُضرب له مثل الكلب [74]وكل هذه الألفاظ ليتوصل إلى معانيها لا بد من أن يبدأ فيها التنغيم بنغمة صاعدة في المقطع الصوتي الأول: (أسكت) ثم يستقر على نفس المستوى في المقطع الثاني إلى أن تعود النغمة لترتفع في المقطع الثالث: (مشقوحًا) والأخير: (منبوحًا).

وقد يأتي الأمر بمعنى النصح والإرشاد بحيث يتضمن نصيحة لم تكن على وجه الإلزام، ومن هذا القبيل تلك الأمور التي ترد على ألسنة الوعاظ والمرشدين والمُوَّجهين ،ومن ذلك ما جاء من قوله في كتابه : "دَعْ مَا يُرِيْبُك إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ"[75] فكان قوله عبارة عن نصيحة بنغمة هادئة فيها الكثير من التلطف، حين عمل اللجوء إلى هذا الأسلوب على إلغاء الإلزام، والتخلي عن الاستعلاء، والتقريب بينه وبين مخاطبه، وذلك من أجل إيصال فكرة "الوقوف عند الشبهات واتقاءها، فإن الحلال المحض لا يحصل لمؤمن منه ريب، والريب بمعنى القلق والاضطراب بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك"[76].

- **رابعاً: الاختصاص:**

جاء في كتاب [النهاية] على لسان ابن عباس: "نَحْنُ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ حَيٌّ مِنْ النَّبَط مِنْ أَهَلِ كُوْثَى"[77] ، يظهر سياق الحديث ارتباط أسلوب الاختصاص بمتلازمات صوتية نستشعرها على صورة تنغيم صوتي ويمثل فيها السكت عنصرًا مهمًا في الإفهام النحوي فالاختصاص هو "قصر حكم أسند إلى ضمير على اسم ظاهر معرفة يُذكر بعده معمول لأخص محذوفًا حديثًا"[78].

حيث جاءت لفظة معاشر منصوبة على الاختصاص بفعل محذوف وجوبًا تقديره: (أخص) "معاشر قريش" والذي سوَّغ نصب معاشر على الاختصاص هو إمكان الوقفة قلبها، وكأنه حينما قال: (نحن) هناك سؤالٌ خفيٌّ هو: من تعني؟ قال معاشر قريش.

وبالفعل إذا تمعَّنَا في الحديث نجد أن هذه الوقفة هي عبارة عن سكتة خفيفة بعد الضمير: (نحن) وهذه السكته تظهر في صورة تنغيم خفيف؛ ليظهر بعده المقصود بالضمير: (نحن).

وغالبًا ما يكون أسلوب الاختصاص قائمًا على لفظي: (أيُّها وأيتها) وهنا نجده يتشابه مع أسلوب النداء إلا أن التنغيم يُعدُّ مرتكزًا أساسيًا للتفرقة بين الأسلوبين من حيث المعنى ذلك "أن الكلام معه

خبر ومع النداء إنشاء وأن الغرض هو تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما يُنسب إليه وأنه مُفيدٌ لفخرٍ أو تواضعٍ أو بيان المقصود"[79].

وفي ذلك يقول الرضي (ت: 686هـ): "ولا يجوز في باب الاختصاص إظهار حرف النداء مع أي؛ لأنه لم يبق فيه معنى النداء، لا حقيقةً كما في (يا زيد)، ولا مجازًا كما بقي في المتعجب فيه والمندوب، فكِره استعمال علم النداء في الخالي (من) معناه بالكلية"[80].

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) فقال: يَاأَيُّهَا النَّاس قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحَجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ: أَكَلَّ عَامٍ يَارَسُوْلَ اللهِ؟ فَسَكَتْ حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا. فَقَالَ النَّبِي(صلّى الله عليه وسلّم): لَوْ قُلتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَ قَالَ: ذَرُوْنِي مَاتَرَكْتُكُمْ فِإنَّما هَلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُم بِكَثْرة سُؤَالَهَم وَاخْتِلافَهُم عَلَى أَنْبِيَائَهِم فِإذَا أَمَرْتُكُم بِشَيءٍ فَأتُوا مِنْه مَاأسْتَطَعْتُم وَإذَا نَهَيْتُكُم عَنْ شَيءٍ فَدَعُوْه"[81].

ففي قوله: (يا أيها الناس) أسلوب نداء الغرض منه استدعاء مخاطبيه وتنبيهم إلى ما يقوله .

وفي حديث كعب بن مالك: "فتَخَلَّفْنَا أَيَّتُهَا الثَّلَاثةُ" يبين سياق المقال تضمن الحوار للفظة (أيَّ)، وهذه اللفظة تقال في الاختصاص، والذي يظهر أن كعب يخبرنا عن حاله وحال مخاطِبَيْه، فمعنى قول كعب أيتها الثلاثة: أي الثلاثة المخصوصين بالتخلُّف عن الذهاب للجهاد.

وعلى هذا نقول: إن التنغيم يُعَد عنصرًا أساسيًا في الأداء الصوتي، فهو يتحكم على نحو واضح في تعيين المعنى وتوجيهه، مع ضرورة الوقوف على كيفية نطق الجملة وتنغيمها ذلك أن تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات[82]، إذ أن التراكيب المنطوقة تتجلى من خلاله بمعاني المفردات فقط، ولا نراها في التراكيب المكتوبة للجمل، وإنما تزيد طريقة نطق تلك التراكيب بصور تنغيمية من قدرتنا على فهم تلك المعاني الإضافية وهذه المعاني هي ما يقصدها المتكلم تمامًا ويهدف إلى أن يضع إصبع السامع عليها؛ لأن المتكلم قد يريد بحديثه بصورة تنغيمية معينة، إلى إشعار السامع بمعنى العتاب أو لفت النظر أو الحث على أمر ما، أو إظهار الرضا أو الإعجاب أو غير ذلك من المعاني التي لا بد أن يكون التنغيم فيها هو صاحب اليد الطولى التي تساعدنا على التعبير عنها، وعن مجمل المشاعر الذهنية المختلفة؛ التي تفهم من خلال السياق المحيط بالتراكيب، وطريقة نطق المتكلم وأدائه الصوتي[83].

الخاتمـــــــــة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ، يمكن إيجازها فيما يلي:.

1. يحتل كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر مكانة كبيرة بين كتب الحديث ؛وذلك لأنّه يتضمن الكير من الأحاديث ويفسرها ويساعد على فهمها .
2. يعتبر السياق قاعدة مهمة في تفسير الأحاديث وشرحها وتوضيح الآثار اللغوية والوقوف على معانيها والوصول إلى أحكامها .
3. يعتبر التنغيم من أهم المصطلحات اللغوية الصوتية التي تصاحب الكلام .
4. التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة دون المقروءة .
5. يعتبر التنغيم أساساً في الآداء الصوتي ، فهو متأصل في النصوص التراثية وقائماً على أساليبها ومؤيداً لدوره في الحوار ، ومتحكماً على نحو واضح في تعيين المعنى بما يمليه عليه السياق .
6. إنّ دراسة الصوت اللغوي له أهمية كبيرة في فهم المعنى عند خضوعه للسياق ؛ لأنّه يعتمد على النص اللغوي بحيث يتأثر كل صوت بما يتقدمه أو يأتي بعده من أصوات .
7. يجعل التنغيم لكل جملة نوع خاص من الموسيقى في آخرها .
8. وظيفة التنغيم الدلالية السياقية تقوم على التفريق بين المعاني بما يمليه السياق .

الهـوامــش

(1) انظر فصول في علم اللغة، لعبده الراجحي،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 2016، ص88.

(2) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان ، عالم الكتب ،ط 5 ، 2006، ص:226-227.

(3) ينظر الخصائص لابن جني ،تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، 2006 ، 370/2

(4) الكتاب، لسيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة 220/2.

(5) ينظر أسس علم اللغة، لماريو باي، تحقيق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 8 ،1998، ص 92.

(6) المصدر السابق ص 93.

(7) التنغيم في التراث العربي، د. عليان محمد الحازمى،جامعة أم القرى ص 12، ينظر معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، علية عياد ، مكتبة لبنان، ص 75.

(8) علم اللغة العام لفردينان دي سوسير، تحقيق يؤئيل يوسف ،دار آفاق العربية،1985، القسم الثاني: ص 163، ينظر: في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم عطية، دار الجاحظ للنشر بغداد، 1983، ص 63.

(9) دراسة الصوت اللغوي ، لأحمد مختار عمر ، عالم الكتب مصر : ص 194.

(10) ينظر علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران ، دار الفكر العربي القاهرة ،ط2، 1997، ص 159.

(11) ينظر أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني ، ط2 ، 1968 ، ص 153-154.

(12) ينظر علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب مصر، ط1 ، 2000 ، ص 539-540.

(13) ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، دار عمان للنشر ،2006، ص 566.

(14) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ،ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية بيروت ،4، 1979/349.

(15) نفسه 602/4.

(16) ينظر فصول في علم اللغة، ص 67.

(17) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،1987، ص 121.

(18) النهاية في غريب الحديث والأثر، 46/4.

(19) نفسه 105/3.

(20) نفسه 271/4.

(21) ينظر الكتاب، 93/1.

(22) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي ، تحقيق : عبدالرحمن علي سليمان ،دار الفكر العربي ، ط1 ، 2008، 563/1.

(23) المُطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين التفتازاني ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط3 ، 2013 ، ص 419.

(24) ينظر دراسات بلاغية، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود ، 2016 ،ص60.

(25) النهاية في غريب الحديث والأثر، 91/5.

(26) المصدر السابق: 194/3.

(27) ينظر التعريفات، للشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ،1983، ص 122-123.

(28) ينظر لسان العرب لابن منظور (ت:711هـ) دار صادر بيروت ، ط3 ، 1994، مادة (ع ج ب).

(29) ينظر دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد،المركز الثقافي العربي،1992، ص 114.

(30) النهاية في غريب الحديث والأثر: 123/4.

(31) نفسه 213/2.

(32) نفسه 344/4.

(33) ينظر لسان العرب، (ق ر ر).

(34) ينظر دروس في البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة، ص 112.

(35) النهاية في غريب الحديث والأثر: 374/3.

(36) الأصول في النحو، لابن السراج ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، 2015 ، 40/1، وينظر شرح المفصل، لابن يعيش ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 2001، 120/8

(37) ينظر إعراب القرآن، للنحاس ، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت ، ص 648.

(38) يوسف(29)

(39) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن ، 325/4.

(40) النهاية في غريب الحديث والأثر، 229/3.

(41) نفسه، 378/4.

(42) شرح المفصل، 14/2.

(43) النهاية في غريب الحديث والأثر: 71/1.

(44) الكتاب 220/2.

(45) النهاية في غريب الحديث والأثر، 151/2.

(46) المصدر السابق الموضع نفسه، وينظر: الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي – محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعرفة لبنان،ط2، 3/2.

(47) النهاية في غريب الحديث والأثر، 375/3.

(48) من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر، ط1 ، 2006، ص 103.

(49) ينظر التنغيم في اللغة العربية، رؤية فيزيائية، رضا زلاقي، ص 78.

(50) النهاية في غريب الحديث والأثر، 204/1.

(51) المصدر السابق، 204/1، ولسان العرب، مادة(ث أ ر).

(52) النهاية في غريب الحديث والأثر، 82/2.

(53) ينظر: الفائق في غريب الحديث، 399/1، غريب الحديث، للخطابي ، تحقيق عبدالكريم العزباوي ، جامعة أم القرى ، 1982، 213/2.

(54) الفائق في غريب الحديث: 399/1.

(55) النهاية في غريب الحديث والأثر: 7/3.

(56) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي ،دار ابن كثير دمشق بيروت ، ط1 ، 1996 ، 673/3.

(57) النهاية في غريب الحديث والأثر: 7/3.

(58) نفسه: 395/2.

(59) مريم: 3.

(60) ينظر: معاني النحو، 4/ 325-326.

(61) النهاية في غريب الحديث والأثر، 344/3.

(62) نفسه ، 76/2.

(63) نفسه: 115/3.

(64) علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ،ط2009،1 ، ص 75.

(65) النهاية في غريب الحديث والأثر ، 427/1.

(66) ينظر الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، دار الكتب العلمية، ط1997،1، ص 298.

(67) النهاية في غريب الحديث والأثر: 50/3.

(68) نفسه ، 212/4.

(69) نفسه، 470/1.

(70) نفسه: 25/1.

(71) نفسه ، 489/2.

(72) تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط1 ،2001 ،(س ك ت)

(73) لسان العرب مادة (ش ق ح).

(74) المحكم والمحيط الأعظم،لابن سيدة، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2000، (ق ب ح)

(75) النهاية في غريب الحديث والأثر: 286/2.

(76) جامع العلوم والحكم، الحافظ بن رجب، دار ابن كثير ، 2008 ، ص125

(77) النهاية في غريب الحديث والأثر، 5 /9.

(78) تهذيب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في النحو الصرف، لأحمد مصطفى المراغي ومحمد سالم علي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص 207.

(79) نفسه ، ص 207.

(80) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، للإستراباذي الرضي ، دار الكتب العلمية 2007 ، 512/1.

(81) صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، 144/9، رقم الحديث: 1337.

(82) ينظر دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، 1984، ص 47.

(83) ينظر أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني "الاستفهام أنموذجًا"،د. مزاحم مطر حسين ، جامعة القادسية ، ص 41.

(84) علم اللغة العام لفردينان دي سوسير، تحقيق يؤئيل يوسف ،دار آفاق العربية ،1985 .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

1. أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني "الاستفهام أنموذجًا"، للدكتور. مزاحم مطر حسين ، جامعة القادسية .
2. أسس علم اللغة، لماريو باي ، تحقيق أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، ط 8 ،1998.
3. أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني ، ط2 ، 1968 .
4. الأصول في النحو، لابن السراج ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ،2015 .
5. إعراب القرآن، للنحاس ، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية بيروت .
6. التعريفات،للشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ،1983.
7. التنغيم في التراث العربي، للدكتور. عليان محمد الحازمى،جامعة أم القرى .
8. التنغيم في اللغة العربية، رؤية فيزيائية، رضا زلاقي .
9. تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط1 ،2001.
10. تهذيب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في النحو الصرف، لأحمد مصطفى المراغي ومحمد سالم علي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
11. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي ، تحقيق : عبدالرحمن علي سليمان ،دار الفكر العربي ، ط1 ، 2008.
12. جامع العلوم والحكم، الحافظ بن رجب، دار ابن كثير ، 2008 .
13. الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ، 2006 .
14. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، دار عمان للنشر ،2006 .
15. دراسات بلاغية، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود ، 2016.

16. دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد،المركز الثقافي العربي ،1992.
17. دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، 1984 .
18. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب،للإستراباذي الرضي ، دار الكتب العلمية 2007 .
19. شرح المفصل، لابن يعيش ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1 ،2001 .
20. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس ، دار الكتب العلمية ،ط1997،1.
21. صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .
22. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب مصر، ط1 ، 2000 .
23. علم اللغة العام لفردينان دي سوسير، تحقيق يؤئيل يوسف ،دار آفاق العربية ،1985 .
24. علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة،1987 .
25. علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران ، دار الفكر العربي القاهرة ،ط2 ،1997 .
26. علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ،ط1،2009 .
27. غريب الحديث، للخطابي ، تحقيق عبدالكريم العزباوي ، جامعة أم القرى ، 1982 .
28. الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي – محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعرفة لبنان،ط2 .
29. فصول في علم اللغة، لعبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 2016.
30. في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم عطية ، دار الجاحظ للنشر بغداد، 1983 .
31. لسان العرب لابن منظور (ت:711هـ) دار صادر بيروت ، ط3 ، 1994.
32. اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان ، عالم الكتب ،ط 5 ، 2006 .
33. المحكم والمحيط الأعظم،لابن سيدة ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، 2000 .
34. المُطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين التفتازاني ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط3 ، 2013 .
35. معاني النحو، لفاضل السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن .
36. معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، علية عياد ، مكتبة لبنان .
37. المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي ،دار ابن كثير دمشق بيروت ، ط1 ، 1996 .
38. من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر، ط1 ، 2006 .
39. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ،ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية بيروت ،1979.